خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

عرفتُ بأجدثَ فنعافِ عرق
علاماتٍ كتجبير النّماطِ
كأن مزاحفَ الحيّاتِ فيها
قبيلَ الصبح آثارُ السياطِ

هذان البيتان للشاعر مالك بن عويمر المعروف بالمتنخل وكنيته أبو أثيلة من شعراء هذيل المعروفين. وهذان البيتان من قصيدة تعتبر أجود طائية قالتها العرب ومعنى الطائية نسبة الى حرف الروي فيها وهو هنا حرف الطاء "اي القافية" واليه نسبت القصيدة.

هذان البيتان مستمدان من طبيعة الحياة البدوية ولايستطيع تصورها ألا من عاش أو تمثل عيشة اهل البادية.

والشعر القديم هو انعكاس لواقع الحال ومستمد من الطبيعة فهذا هو الافق الذي يتحرك من خلاله الشاعر فكل صوره وتشبيهاته مأخوذة مما يراه ويحسه، لان الأفق البدوي محدود بمساحة معينة هي الأرض والسماء والماء والحيوان وبعض متاع وزرع وضرع.

لذلك كان أستاذنا الدكتور عبد الجبار المطلبي يؤكد علينا لغرض فهم الشعر القديم أن نعايش حياة البداوة فمن لم يستطيع ان يعيشها واقعيا فعلية أن يتخيلها وينتقل من عالم المدينة الى حيث الصحراء هذا العالم الشاسع الواسع المقفر ويتأمل كيف استطاع هؤلاء الشعراء أن ينتجوا هذا الشعر من هذه البيداء. فاذا لم يستطيع آحد ان يحلق بخياله ويعايش طبيعة البداوة وبقي ضمن حدود المدينة فلن يستطيع فهم الشعر القديم.

وهذا ما يتطلبه فهم هذين البيتين.

أما البيت الأول فيمكن فهمه بسهولة لعدم وجود صورة تعتمد التشبيه فهو بيت تقريري حيث تعرف الشاعر على منطقة مرتفعة واستدل عليها من خلال علامات "أجدث اسم منطقة، فنعاف عرق هي أرض مرتفعة".

هذه العلامات التي وضعها للاستدلال هي كنقش النماذج ورسمها اي انه وضع هذه العلامات كمن رسم ونقش نماذجه بيده فهو يعرفها ولا يكاد ينساها مهما تعرضت لتقلبات المناخ.

أما البيت الثاني فهو البيت الجميل المستخرج من واقع الحياة والمبني على التشبيه فقد رسم لنا فيه الشاعر صورة تكاد تكون كاملة واكاد ارى هذه الصورة بعيني بل اني فعلا رايتها على ارض الواقع وربما رآها كثيرون ممن عاشوا في الأرض المفتوحة خارج نطاق الحواجز مما يمكن ان تتواجد فيها الأفاعي.

فالأفاعي كما هو معروف تخرج للبحث عن طعامها في الليل عندما يعم السكون وتعود الى حجورها قبيل الصبح والافعى لا تسير بطريقة مستقيمة انما تندفع بطريقة حلزونية وهي في سيرها هذا تترك آثار زحفها على الأرض خاصة على الأرض الرملية أو الترابية غير الصلبة. ونظرة واحدة الى تلك الأرض تستطيع ان تعرف ان حيّة قد مرت من هنا. هذه الحركة الحلزونية اللولبية شبهها الشاعر بآثار السياط على ظهور الدواب والأكثر وضوحا تبدو على ظهور من يخضعون للتعذيب، فالسوط على الظهور لايقع بطريقة مستقيمة أيضا ومن هنا جاءت جمالية التشبيه.

ذاكرة الكتابة

سطوح بريئة من سوق الغزل الى محلة مرحانا

شاكر سيفو

تبغددت في سوق الغزل في عام ١٩٥٤، فانفجرت الانهار في صدري، وارتجت دجلة في شرياني الابهر وامتدت البلاد الى حيث السماوات الثامنة، وتعرق جسدي فأصبحت عراقيا منذ تلك اللحظة، هكذا يقوى الاسم على تأسيس تاريخه الشخصي في سجل البشرية برقم سحري يتحدث عنه فيما بعد فلاسفة الكون وكتاب السير الذاتية، وشعراء الازل الخالدون أمثال والت ويتمان وبابلو نيرودا واراغون وبول ايلوار ومايكوفسكي وبوشكين بعد ان يكون قد طلق غجره خارج منطقة الثلج وبودلير _ طبعا_ بعيدا عن أزهار شره ورامبو بعيداعن فصله الجحيمي وقريبا من اشراقاته المحتشدة في جبينه وت اس اليوت بعيدا عن الارض الخراب وقريبا من أربعاء الرماد وسان جون بيرس في كل أحتفالاته المعقدة، وريلكة بعيداعن مراثيه ،ومالارميةقريبامن صفحته البيضاء ..

احتشدت الاعوام الرمادية في ركن ما من أركان منطقة سوق الغزل، لا أتذكر شيئاًواضح الملامح هناك ،لكنني أستطيع أن أعود قليلاً الى الوراء، ذات يوم من ايام السبعينيات عندما نزلت ضيفا في بيت عمتي "م" قدمت الى بغداد لانجز معاملة الجنسية العراقية، لا أتذكر ملامح الدار التي كانت تسكنها عائلة عمتي "م"، ربما كانت تقع في ركن ما وسط سوق الغزل، دار صغيرة لا تسع لاكثر من عائلة صغيرة تتكون من سبعة أفراد ..

كانت عمتي "م" من الماهرات في صناعة الكبة، أما زوجها فكان الامهر الاول في الادمان على الخمرة الرديئة لهذا مات بالسكتة القلبية مثلما يموت أي ديك يصاب بأنفلونزا العذاب والفاقة والحرمان ..

في سوق الغزل عشنا سنوات لا اعرف كيف مرت، من أين أبتدأت والى أين ذهبت مثل لمحة بصر، عشت اربعة أعوام فقط ، لا استطيع تفسيرها وبيان ملامحها وأهرءأت ضجيجها وعبثها وملوكيتها وممتلكاتها وممتلكاتنا وعذاباتها وعذاباتنا وحماماتها التي أشتهدت بفعل الانفجار الأخير الذي طال الناس والازقة والسطوح البريئة والطفولات والعصافير وطيور الحب التي ماتت في عيد الحب ، الى الشمال من سوق الغزل وصولا الى باب المعظم نمر بمنطقة شهيرة وأسمها اللامع وهي عقدالنصارى، هذه هي أسماء أحياء بغداد أسماء لامعة ممتلئة بمعانيها وزاهية بمخلوقاتها وضجيج أزقتها، وبراءة طفولاتها ونقاء اناشيد مدارسها وطقوس عائلاتها ايام الاعياد الارضية والسماوية ..

كان الناس الكسبة أنذاك ولا زالوا يجمعون الليل والنهار في ضجيج يسترخي في مكان يتدفق مثل مصابيح حولاء ، تحرسها مصابيح جاحظة، اتذكر تلك الفوانيس العتيقة المعلقة في اركان المدينة ، مدينتنا "بغديدا"، قره قوش، كان "متي ب" يوقد تلك الفوانيس، يأتي في المساء، حين تخيم الظلمة على الارض ،يصعد سلمه القديم المكون من درجتين او ثلاث، لم انس ذلك المشهد المسائي طوال ايام حياتي ..

الان وبعد عشرات السنين من تلك الوحشة خطفتني الحماقات الى متاهات وسط غرباء دخلوا بلادنا واحتلوها وسرقوا ماء دجلة وعبثوا ببساطيلهم بماء الفرات وخطفواحمامات"المربعة وسوق الغزل وتحرشوا بحمامات بغداد الجديدة والبتاوين والمشتل " انهم لا يمتون بأية صلة بمصابيحنا العزلاء، وضجوا بعجلاتهم الهمر وهي تخترق أصواتنا وتحياتنا واعيادنا صيفنا وشتاءنا وهي تصيب بسهامها اجساد الفاتنات من حي المنصور والبلديات وحي المعلمين و....و....و....

عشنا في سوق الغزل بشراكة نظيفة، كانت لنا دكان لبيع الكبة يشاركنا في رزقها "العم ي س" ابو"ع" والعم "أ"، وانتهى رزقنا، عندما جاءت البلدية بشفلاتها ومكائنها قصمت نصف الدكان، كانت هذه الحادثة أيام الجمهورية بزعامة الزعيم الاوحد عبد الكريم قاسم، وبعد عام او ربما اكثر من الحيرة والغرابة والندم عدنا الى بغديدا،قره قوش، الى بيت قديم صغير في محلة مرحانا لا يتسع لاكثر من عائلة صغيرة تتكون من خمسة أفراد .. البيت القديم كان يقع مقابل بيت جدي القصاب "ش د" ويلاصق بيت ككي باهو بربر الشهير بحكاياته التاريخية وزوجته "ز_جيجو" الحكيمة الماهرة بطب الاعشاب، ولربما تركت خلفها كل صيدليتها العشبية، ولاتزال ابنتها "ش" تعمل على خطى أمها "ز" .. بمهارة...

عشنا في هذه الدار الى ان شاءت الاقدار والاشجار ان تقصد الخريف الذي ظل علامة فارقة في حياة تلك المرحلة، وانا الذي بنيت من تلك الشجرة علامات ليست للربيع ولا للشتاء ولاللخريف، كان الشتاء يتفرع كأغصان من بين سيان الازقة، ويجري كما كان صوت جدي القصاب يلعلع وهو ينادي زبائنه ليقصدوا دكانه وكان ذلك كل يوم أحد ياتي الفقراء لشراء ربع كيلو او نصف كيلو لحم ليتلذذ اولادهم الذين حرموا من الربيع الذي سقط وسط الفصول السماوية ولم يفكر به الشعراء يوم جرت الرياح عكس ما أشتهت السفن، ظل الشاعر يفكر بهرم الدار وخمول ترابها وأندثار السنوات الرمادية...

سر طغيان السياسي على الثقافي في العراق

د.تيسير عبدالجبار الآلوسي ـ
ميدل أيست اون لاين

عُرف العراق بأنه موئل الكتاب وسوقه، إذ أنَّ العراقي شغوف بالقراءة حتى لم تكفه مطابعه وإنتاجها، وهو أساسا لا يكتفيَ بمنتجه المعرفي على الرغم من تنوعه بل اتجه دائما لقراءة النتاج الثقافي الإنساني ما جعل المكتبة العراقية غنية دائما ممتلئة الرفوف بأنواع الكتب الصادرة في محيطه الإقليمي القريب والدولي البعيد.

وليس غريبا على العراقي بأطيافه ولغاته القومية المتعددة مثل هذا الأمر فهو سليل أجيال أسست أول مدرسة وكتبت أول حرف وبنت أول مكتبة وكانت عاصمة عالمية للمعرفة حيث زمن دار الحكمة والجامعة المستنصرية. ولقد اعتنى العراقيون بسوق الكتب وبمكتباتهم العامة والخاصة والشخصية.. لكنَّ ذلك لم يكن إلا مفردة بين مفردات حركة الثقافة لديهم.. إذ أنَّ أسس حركة الثقافة موجودة في عناية الأسرة العراقية بإرسال أبنائها وبناتها إلى المدرسة وهي الأسرة التي توفر من قوتها البسيط بنزره اليسير نسبة مميزة لشراء الكتاب.. وهي الأسرة ذاتها التي تنقل جينات الموروث الثقافي الثرّ للأجيال الجديدة. وكان لهذا الاتساع والاهتمام الشعبي الكبير بالثقافة نتائجه في تصدّر عمالقة المعرفة العلمية والأدبية ونتاج الثقافة إقليميا وإنسانيا.. فمن منا لا يعرف عبدالجبار عبدالله العراقي بنتاجه العلمي وهو الصابئي المندائي المتنور الذي ظل يحتفي بعراقيته وسمو روحه الوطني على كل السمات الأخرى لمفردات هويته؛ ومن منا لا يعرف عبدالله كوران العراقي بنتاجه الشعري الكردي الخالد أو محمد مهدي الجواهري العراقي بنتاجه الشعري العربي الغزير الخالد.. وكلاهما يرفعان رايات العراق واسمه عاليا. والثقافة ممثلة بنتاج أدبي أو معرفي أو بموروث القيم والتقاليد البناءة بهويتها الشعبية تظل سمة لأنسنة أنشطة البشرية ورقيها وسموها بمنطقها العقلي التنويري ومثله الجمعية المشتركة التي تعلي من الوجود الاجتماعي للإنسان من دون أنْ تهمل أو تغفل وجوده الفردي المبدع والمندمج بالجماعة البشرية.

إذن، لقد احتفى العراقيون بالثقافة إكراما لمنطقها التنويري وإعلائها للعقل وإنتاجه وأثره في توجيه السلوك الاجتماعي بأوسع قيمه.. وبات المجتمع العراقي يُكرم مثقفيه وينزلهم المنزلة العليا منتظرا دوما أنْ يعود ذلك عليه بالصحة وبمعالجة معضلاته ورسم الخطوط الاستراتيجية الكبرى لمسيرته وهويته. ولم يكن لوجاهة في المجتمع العراقي أنْ تتقدم على وجاهة الحكيم فيهم أي المثقف صاحب رجاحة العقل وسعة المعرفة ورحابة الصدر وعظيم الخبرة... وذلكم يؤكد أهمية الردّ من جانب المثقف كما هي التقاليد الثقافية الرصينة لتاريخ الثقافة العراقية بعطاء جدي حقيقي ينطبع بلسما في كل مفاصل يوميات العراقي.

وبعد هذه الكلمات العجلى لابد من توكيد تلك المقولة التاريخية التي رأت في ديمومة انتصار الثقافة العراقية أيام سومر وآلاف سنين الشدائد التي كان العراق فيها ينكسر عسكريا ولكنه يغلب ثقافيا وينتصر لوجوده وهويته معاودا باستمرار مواصلة مسيرته بفضل تلك الخلفية أو ذياك الأساس الثقافي المتين.

فهل سينطبق هذا التاريخ وعراقته على حاضرنا ومستقبلنا؟، وهل حركة الثقافة العراقية ما زالت بخير وقادرة على مواصلة مسيرتها المخصوصة؟، وما إشكالاتها القائمة اليوم؟، ينبغي قبيل الإجابة عن مثل هذه الأسئلة أنْ نشير إلى أنَّ الثقافة الإنسانية في ظل مراحل نشأة المجتمع البشري انطبعت بالتنوع بحسب إمكانات الاتصال وطبيعة ذاك التفاعل والمتاح له بطريقة مباشرة وغير مباشرة.. فيما هي اليوم تمتاح من حالة التداخل والتقارب والاتصال المباشر بما يكفي للحديث عن الوحدة الإنسانية الكونية التامة في التنوع والاستقلال لكل هوية تمتلك فرصها للعطاء ذاتيا وموضوعيا.

ونحن نقرأ أوضاع المثقف العراقي، أسّ الثقافة العراقية، وهو في شتات المنافي يساهم بدوره المميز على أساس ما امتلكه من خلفية متينة وقادرة على العطاء والتأثير وهو كذلك نسبيا في الإطار المكاني العراقي بسبب من محاصرته بأدوات معاداة الثقافة وآليات اشتغالها.. إنَّ حركة الثقافة عامة والعراقية خاصة ليست منجزا شعريا على أهمية هذه المفردة وهي ليست منجزا معرفيا في ميدان تخصصي بعينه وهي ليست مفردات لعلم نفس أو اجتماع أو لعلم أدبي أو لظواهر سلوكية وأدائية اجتماعية بعينها بل هي كل ذلك مجتمعا. وعليه فما دام العراق وطنا يشيده "شعب" فلابد لهذا الشعب من نتاج ثقافي يطبع وجوده ومستويات عيشه وآليات حركته.. كما ينبغي أن نؤمن بأنَّ مثقفي هذا الشعب يمتلكون الفعاليات والفاعلية في العطاء بمقدار ما يُتاح لهم من فرص العمل وفرص التقديم والعطاء.

ولأنَّ الشعوب لا تموت، ولأنَّ حركة عطائها الثقافي لا تنقطع.. فإنَّ لهذه المرحلة على أزمويتها وتراجيديتها فرصَ العطاء الثقافي بمعنى وجود العلائق الإنسانية الصحية الصحيحة والسلوكيات القويمة وإنْ تنحّت بفعل سيادة منطق الجور والظلم وعتيّ سطوة الطغيان وقسوة العنف والمصادرة المسلحة للطبيعي في يوميات المواطن العراقي.

ألا ننظر إلى رسوخ العلاقة بين الإنسان العراقي ووطنه واسمه وهويته؟، ألا ننظر إلى ثبات العلائق الاجتماعية الوطنية على الرغم من عنف قوتين همجيتين وهول تخريبهما وتعرضهما لهذه العلائق: الإرهاب والطائفية؟، ألا ننظر إلى عمق جذور القيم السامية لوجود المجتمع العراقي موحدا معتزا بغناه في تنوعه وتعدديته.. وفي احترامه لمكوناته جمعية وفردية؟. لكن ما يطفو على السطح ليس بالضرورة هو ما يمثل السمة الجوهرية لوجود إنساني بعينه كما في العراق.. وإنما سبب ظهوره وسيادته إنما يكمن في فرصة العنف والقوة السلبية في السطو المؤقت على الحياة الإنسانية ومفرداتها إلى جانب وجود أمراض تصيب الثقافة وحركتها ومنتجيها مثلما تصيب الجراثيم الجسم بأمراض بعينها.

وللحقيقة لابد لنا من الاعتراف بوجود مثل هذه الأمراض في حياتنا الثقافية: حركة وشخوصا حقيقية ومعنوية "مثقفين ومبدعين وجمعيات وروابط ومنظمات".. وفي ضوء هذا الاعتراف سيمكن قراءة الوضع القائم بتفاصيل قدرات التقدم وعقبات التراجع والاحباط.

لقد انجلت يوميات العراقي البسيط عن ظروف قاسية من العنف وسطوة القوى المسلحة ما أدى إلى مشاغلته بالتهديد الخطير للآلة الجهنمية التي تستبيح حياته مهددة إياه وعائلته ومحيطه بالخراب والدمار المأساويين.. وفي ظل مثل هذه الحال نجد العراقي يعاني في محاولاته التشبث بأية قيمة من قيم الاستقرار الإنساني والبناء عليها لقيم العلائق الصحية المنتظرة.

ومن ذلك ما يخص تشبث العراقي بمكانة العلماء والحكماء المثقفين فيه وإنزالهم منزلة التميّز على الرغم من غبار الراهن وهزات الواقع يوميا وفي كل ساعة بفعل متفجرات لا الموت الجسدي لأبناء العراق بل والخراب الروحي.

إذ من أين يمكن للعين البحث في جماليات القبح مضافا اليها تراجيديا العنف الدموي التي تستبيح الجسد بعدد ولكنها في الحقيقة تستبيح الروح بأعداد مضاعفة ومفتوحة على ما لا نهاية أي حتى منتهى الوجود الكامل للعراقيين.

هذه واحدة من أخطر عراقيل أو عقبات الحياة الثقافية.. وكل ما هو موجود بالفعل ليس سوى تشبث ببقايا صور استعدادا لانبعاث قابل مجددا وولادة حيوية تالية. إذ لا تعايش بين الثقافة واللا- استقرار وما يمكن أن نسميه تجاوزا ثقافة العنف والدم والجريمة هو توكيد لحقيقة انتفاء قيم إنسانية صادقة تعتمد خطاب الثقافة.

إنَّ الذي يجري هو تشويه متعمد وضرب لحركة الثقافة وعطائها وإمكان مواصلتها مسيرتها، طبعا لمصلحة طغيان لا تهمّه إلا مصالحه الخاصة بالمطلق.. في سابقة للعودة لزمن العبودية بطريقة أبشع. فما التشوهات التي نرصدها في حركة الثقافة العراقية؟، وما العقبات التي تنال من مثقفينا؟. إنَّ أخطر تلك التشوهات هي تلك المتعلقة بمفاهيم دخلت حركة الثقافة والثقافة نفسها من بوابة زمن طويل من السحق وعقود من الهيمنة للفلسفة المصادرة والاستلاب ومن ثمّ رؤى لتفريغ الثقافة من جوهرها الإنساني وتسطيحها وجعلها تتناغم ورغبات مرضية لطبقة تحكمت بالحياة العامة وبيوميات الناس فدفعت بكل بهرجة وتطبيل وأشغال الإبهار الشكلاني لتمثل التناول الذي طفا وسيطر على المشهد الثقافي بعامة.

وإذا كنّا نؤكد أنَّ ذلك لم يلغِ الثقافة الحقيقية وجوهرها على الرغم من تحييدها وتنحيتها ووضعها على أرصفة التهميش.. فإننا في الوقت ذاته نعترف بسيادة السطحي والمرضي المشوّه وبروزه بكل ما لهذا المشهد من آثار سلبية خطيرة.

ويمكننا هنا أنْ نرصدَ خطاب الفردنة والشللية والاصطراعات بين موضات وأشكال طارئة وتنافسا محتدما بين تلك الأطراف على أسس سباق مادي رخيص، لا يلتفت إلى/ ولا يهتم بالجوهري لمادة الثقافة الإنسانية من قيم روحية ومنطق عقلي موضوعي يستهدف الجمعي والفردي بطريقة متزنة صحيحة.

وفي ظل هذا المشهد تحديدا تظهر حالة تقديم خطابات دخيلة على الخطاب الثقافي نظرا لتسطيح هذا الخطاب وتفريغه من جوهره ومحتواه وتطغى آليات الخطابات الدخيلة على آليات الخطاب الثقافي مغيّبة ذلك أو مهمشة حتى لا نرى من ممارسات حركة الثقافة إلا ممارسات داخلة في الخطابات الأخرى وآلياتها كما هو حال تغليب السياسي على الثقافي بوعي أو من دونه وبمعرفة أو من دونها وهو الأمر الذي

لا يُتاح راهنيا فرصة معالجته جذريا.. بل نعيش آلامه وجراحه الفاغرة وتداعياته بمزيد من الاحباطات والتفتقات المرضية. وإذا سألني سائل عن سرّ طغيان السياسي على الثقافي فإنني أقول: إنَّ ذلك يعود لقرب السياسي من المباشر ومن الإجرائي والعملي التطبيقي في يوميات الإنسان العادي منه إلى بُعد الثقافي عن العملانية الإجرائية ودخوله في التنظيري الفلسفي فضلا عن حاجة فرص نتائجه لمديات زمنية بعيدة قبل أن تبدو متمظهرة في شكل سلوكي أو عادة أو تقليد أو شعيرة أو ما شابه.

فالثقافة ليست قرارا إداريا ولا تخضع لمثل هذه الأمور الإجرائية؛ وحركة الثقافة محكومة بحركة المجتمع البشري وعوامل فاعليته أو تلكؤه وعرقلته وما يكتنفه من ثغرات.. وفي ضوء ذلك سنجد النتيجة في مجتمع جرت عملية تشويه القيم فيه متجهة نحو كفة التشويه أو واقعة في كفة الاستسهال من جهة وسمات الهروب فضلا عن خلط الأوراق والخطابات بطريقة غير موضوعية. في مثل هذه الأجواء نلاحظ أن الجماعة الثقافية لا تظهر في ضوء جوهر إبداعي وقيم روحية عميقة بقدر ما تظهر على أسس لقاء شللي "من الشلة أي الجماعة المرضية أو الطارئة" طارئ سرعان ما ينهار بالانتقال للممارسة الحياتية.. وبدل من التعبير عن الجماعة التي تنسجم ومذهب أدبي أو فني أو فكري أو آلية أو طريقة للتعبير عن نشاط أو فعل إنساني عميق سنصطدم بشلة لا جامع بينها إلا حالات من الادعاء أو المستهدفات العرضية المؤقتة.. وتلكم من عقبات حركة الثقافة وتنظيمها.

وهذه الأجواء هي بالضبط ما تحتوي علي فردنة الأمور وظهور الحساسيات المرضية ونوازع الاختلاف والتشظي والتقاطعات والاصطدامات التناقضية بين أغراض الأفراد وتطلعاتهم ورغباتهم ومواقفهم الشخصية في الأنشطة والعلاقات وهذا ما ينعكس سلبا على تطور العلاقات الاجتماعية واستقرارها وعلى توافر أجواء تطور الحياة الروحية الثقافية.

فيما يكون من الطبيعي أن تميل حركة الثقافة لتشكيل أطر تنظيمية مناسبة لها بسبب من العلاقة المكينة بين الثقافة والعمل الجمعي المنظم بوصفه العمل الأنسب للتعبير عن فعالية الخلق الثقافي، ولكنها لن تنجح في هذا من دون ضوابط ومحددات حضارية تتناسب والمستوى الراقي المميز لمعنى ثقافة ومن دون تجنب ما أشرنا إليه من أمراض الشللية والفردنة أو الشخصنة المرضية في أغلب أحوالها.

ويمكن التمثيل لقضية محاولات العمل من أجل ولادة تنظيم للثقافة العراقية بصيغ الروابط والجمعيات والمؤسسات والبرلمانات والجماعات الثقافية بأية مناهج أو آليات عمل، فنجد أنَّ أغلب تلك المحاولات باءت بالنهايات السريعة والتوقف عن مواصلة المشوار حتى بات كثير ممن تابع تلك التجاريب في حالة إحباط وهلع من ولادة أية تجربة جديدة.

ونضيف هنا ظهور نتائج عرضية من نمط التشكك والظنية بالآخر الذي يواصل مشوار التحدي والمحاولة فيصل إلى موضع التأويل ومن ثم اتخاذ موقف خاطئ في ضوء المنطلق التأويلي المعوج الخاطئ.. وتتحطم علائق جدية وتتخلق حواجز تطفو منها حال التمزق ومشهد التشتت والتشرذم.

وبخلاصة القول فإنَّ مجموع تلك السمات المرضية متأتية من شتات جغرافي للمثقف العراقي وتوزع بيئة الحاضن الثقافي بين ثقافات تختلف تماما في خلفياتها القيمية وأشكال تمظهرها. كما أن الجاليات العراقية التي يتصل بها المثقف ومنتجه لم تستقر بعد بوصفها كيانا بهوية مخصوصة ويمكنها أن تتوجه لهذا المنتج أو تعقد الصلات معه. إنَّ جملة الشروط المادية بالمعنى الواسع للمصطلح تظل عبر تشوهاتها غير قادرة عل توفير الحاضن المجتمعي لحركة ثقافية بالمستوى المميز نفسه للمثقف العراقي.. ومن هنا فإنَّ الثغرة أو المسافة بينهما تظل شاسعة بعيدة لا يمكن أن يتحقق في ظلها نجاح جدي منشود.

إنَّ العلاج المنتظر لن يكون إلا بكفالة علاقة متينة مع وطن مستقر الأوضاع ومنظمات وجمعيات ثقافية وطنية يدعمها واقع حافل بالعلائق الصحية الصائبة بين الشعب جمهورا للفعالية الثقافية ومنتجها القيمي. وتطبيق هذه الحالة يكمن في فروع لحركة الثقافة وتجلياتها سواء تنظيما موحدا أو مستقلا مدعوما بما يكفي له لإدامة دورة الانتاج والإبداع في مجالات الثقافة كافة. وكل ما عدا ذلك سيبقى عقبة تثير الإحباط واليأس أو في أفضل أحواله مجرد ومضة طارئة تمضي بلا نتائج ذات شأن وديمومة ما سيعني انقطاع مسيرة حركة الثقافة بهويتها العراقية.. وذلكم ما سيكون سابقة خطيرة أولى بعد تاريخ ١٠ آلاف عام من العطاء!!.

ولهذه المقاربة متابعة مثلما يطلب كاتبها أولا: رؤى الآخرين في أسئلة حركة الثقافة العراقية؟.

أتذكرك كل ربيع

إلى الاستاذ بدران أمرايا مع حلول الذكرى الاولى لرحيل فلذة كبده زنبقة العراق "آشورينا"

كريزلدا

في مثل هذه الايام من الربيع الماضي
كنتِ بين الأزهار اليانعة.. فرحتي
تركضين بين الأشجار.. مورقة
وضحكتك بين همسات النسيم.. خافقة
وعلى خدك صفاء الطبيعة.. صامتة
وخطواتك تملأ قلبي.. حبا
وضعتكِ على بساط الأمل
ليرفرف قلبك مع الأماني والأمل
وأسمع ما تبقى من ضحكتك الرنانة
وبقلبي أمل متفتح للبقاء
ومن ربي أخذت الصبر والرجاء
ومن ضوء عيني أعطيتك يوما جديدا لميلادك
وشعرت بعمر جديد مضافا إلى عمري بعلاجك
كنت حلمي لكن الموت اختطفك من ربيعي
وفجأة رأيت روحك تتساقط من فوق البساط
كما تتساقط أوراق الوردة الصغيرة
فصرختي لا تتوقف
وتحولت الدنيا إلى اسم أردده كثيرا "آشورينا"
وذكراك تبقى تحفر آلامي الحزينة
وتبقى بيني وبينك دموع تصيب قلبي من الصميم
وما زالت ورود قبرك تعطيني لمحة من ابتسامتك الحزينة
وعذاب ذكراك يأخذني لمسافات مليئة بالأسف
لماذا.. لماذا.. لماذا؟

الرّواية العالميّة تودّع واحداً من آبائها العظام

عن موقع ايلاف

توفي الكاتب ألن روب- غرييه في سن الخامسة والثمانين ليلة الأحد- الإثنين

١٧/ ١٨ شباط في المستشفى الجامعي بمدينة كين بعد أن عانى مشكلات في القلب. وقد اعتبر ألن واحدا ممن أثروا في النصف الثاني من القرن العشرين، وشكلوا ملامحه الثقافية والأدبية. ولهذا فهو وجه بازغ ومعروف في الخارج أكثر منه في فرنسا موطنه الاصلي الذي لم يكن محبوبا بها لمزاجه المتهكم والصدامي رغم المسحة التي كان يضفيها عليه كرجل غيور مثار إعجاب وجدل وأيضا محط احترام كبير بسبب حيويته الثقافية التي لم تكل حتى وهو طاعن في السن إذ ظهر له في خريف ٢٠٠٧ "رواية عاطفية"، بعد عمله السينمائي "إنها غاراديفا التي تناديكم" في عام ٢٠٠٦، وحواراته الإذاعية "مدخل إلى حياة كاتب" في عام٢٠٠٥. وكان زعيم مدرسة بطبيعة الحال وهو الذي ما فتئ يدافع عن معتقداته الجمالية بقوة، ويتصدى لشرحها والتنظير لها، مثلما ذاع ذلك في "الرواية الجديدة" التي ارتبطت باسمه وأدركها كأسلوب وطريقة جاءت ردا عنيفا ضد الادب السهل الذي استهلك نفسه وقتتذ. وتعلم من تكوينه كمهندس زراعي أن في الفن كما في العلم ثمة تقدم وأن الحقائق الجديدة تفرض نفسها حين تصبح القديمة عاجزة. وعندما بدأ الكتابة من غير نية في أن يصير كاتبا بدأ يلفت إليه معاصروه، وجلبت له الشهرة روايتاه "المماحي ١٩٥٣" التي تحمس لها جيروم ليندون ودافع عنها برغم ما أثارته من خلاف بخصوص بنائها، و"الرائي ١٩٥٥" التي حصلت على جائزة النقاد بفضل جورج باتاي، وجون بولهان، وموريس بلانشو الذي تصدى من الأوائل لدعم الكاتب إلى جانب جورج لامبريش ورولان بارت. لكن روايته "الغيرة" هي التي سرقت الأضواء وضعت صاحبها في مصاف كبار الروائيين ليس في فرنسا فحسب، بل خارجها أيضا. لقد خرقت "الغيرة"، الرواية البطينة والملغزة والمحيرة، والتي لا تقرأ إلا بعد تفكير، والتجريبية في كل الاحوال، ومن ثمة الاكثر تعليقا قواعد الكتابة الروائية إذ لا حدث ولا حبكة والشخصيات في متاهة داخل النص. لقد كان روب- غرييه، في رواياته، يدافع عن تصوره الجديد والمختلف للرواية الجديدة كاتجاه أدبي يرفض شكل الكتابة التقليدي، ويدحض كثيراً من الخصائص مثل خطية الحبكة، والتعاقب الزمني الحكي، والكثافة النفسية للشخصيات. وفي ضوء ذلك، صارت الرواية الجديدة تؤثر التخييل على الرؤية. وفي دراسته "من أجل رواية جديدة" (١٩٦٣) يبلور ألان روب-غرييي نظريته. تحت تأثيره أو بالتجاوب معه، ينخرط عدد من كتاب الرواية أمثال مارغريت دوراس، وكلود أولييي، وناتالي ساروت وكلود سيمون في الإتجاه الجديد الذي تعدت شهرته فرنسا. وفي مقامه الأميركي، يتوجه نحو جماليات "البوب أرت" التي تظهر أكثر في كتاباته الأطوبيوغرافية الإستيهامية ذات البعد الإيروتيكي- التصويري بداية من روايتيه "منزل الموعد" (١٩٦٥)، و"مشروع للثورة في نيويورك"(١٩٧٠). وفي نصوصه الأخيرة، بدا ألن روب- غرييه يعود إلى الكتابة الروائية، الكلاسيكية أكثر. لكن كاتبا مثله مغامرا، ومنفتحا، ومؤمنا بقناعاته الجمالية والعمل على إشاعتها سوف يتوجه إلى السينما التي كانت دائرة جمهورها في اتساع مطرد فيكتب، في خضم "الموجة الجديدة"، سيناريو فيلم "السنة الأخيرة في ماريانباد" الذي نال الأسد الذهبي بالبندقية في عام١٩٦٣، وبعد عامين فيلم "الخالد" الذي أخرجه هو نفسه، وفي عام ١٩٨٣"الأسيرة الحسناء". وفي كل أفلامه التي تربو على العشرة كان يخلق لدى الجمهور "انتباهاً" خاصاً. وفي ١٧آذار ٢٠٠٤، تم انتخابه للأكاديمية الفرنسية في كرسي موريس ريمس، لكن وفاء لفكره المتمرد رفض أن يرتدي البدلة، وأن يلقي خطابه تحت القبة لأنه رأى أن هذا التقليد قد اندثر. برحيل ألن روب- غرييه المولود في آب ١٩٢٢ تفقد الرواية العالمية واحدا من آبائها العظام، الذي ثار على تقاليد الجنس الروائي، وغير مجراه الثابت. ولن تشغل صوره الصفحات الثقافية لكبريات الصحف والمجلات لأيام وأسابيع تنعيه إلى قرائه المنتشرين في المعمورة فحسب، بل سوف تبقى صورته ككاتب إشكالي راسخة في ذاكرة الأدب والرواية العالميين لسنوات طوال إلى جانب إخوته الإشكاليين سرفانتيس وبورخيس وبروست ونجيب محفوظ وهمنغواي، تمثيلا لا حصرا.